﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ١٣٣﴾ [النساء: 133]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بيان كمال تَصَرُّف الله في مخلوقاته بعد بيان كمال ملكه لهم

لَمَّا تَقرَّر في الآية السَّابقة شمول ملك الله وتمام قدرته أنتجَ قولَه: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾[1]، فإذا علمتم أيُّها النَّاس أنَّ لله ما في السَّماوات وما في الأرض يَتصرَّف فيه كيف شاء، فاعلموا أنَّه إن يشأ يُذهبكم بعذاب ينزله بكم، أو أمَّةٍ قوية يُسلِّطُها عليكم، فإنَّه يُذهبُكم ويأتي بآخرين[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُذۡهِبۡكُمۡ﴾: يُفنيكم ويُهْلِكُكم، والذَّهاب المُضيُّ يُقال ذهب الشَّيء يذهب ذهابًا وذهوبًا، ويستعمل ذلك في الأعيان والمعاني، ويُعَبَّرُ به عن الموت، وأصل(ذهب) يدلُّ على انتقال الشَّيء من مكان إلى آخر ومضيِّه والمُراد هُنا هو المعنى الكنائي وهو الإفناءُ والإهلاك[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

كمال تَصَرُّف الله تعالى في مخلوقاته حَسب مَشيئته وقُدرته

إن يشأ الله يُهلكُّم أيُّها النَّاس ويأت بآخرين غيركم يُطيعون الله ولا يعصونه، وهو ذو الجلال، قدير على ذلك وعلى كلِّ شيءٍ[4].

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/429.
(2) رضا، تفسير المنار: 5/369.
(3) الأصفهانّي، المفردات، والسَّمين، عُمدة الحُفَّاظ، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذهب)، والكفوي، الكُلِّيَّات، ص: 993، وابن جرير، جامع البيان: 9/298.
(4) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 134، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 99، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المخْتَصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 99.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة حذف المفعول في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾:

حُذِفَ مفعول ﴿يَشَأۡ﴾ لعلمِ السّامعِ أنَّ ههنا شيئًا تقتضي مشيئته له أن يكونَ أو ألّا يكون، والتقدير (إنْ يشأ إفناءَكم وإيجادَ آخَرين يذهبْكم)، فيقدَّرُ المفعولُ بما دلَّ عليه جواب الشّرط، ومن البلاغةِ أنْ يأتيَ المفعولُ في مثلِ هذا الأسلوبِ محذوفًا، فإنَّ البيانَ إذا وردَ بعدَ الإبهامِ وبعدَ التّحريكِ له أبدًا لطفًا ونبلًا لا يكونُ إذا لم يتقدَّم ما يحرِّك[1].

البُعد عن مواجهة المُخاطَبين بلفظ الإفناء والإهلاك الشَّديد

نكتة التّعبير بقوله: ﴿يُذۡهِبۡكُمۡ﴾:

عُبِّر بالفعل ﴿يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ دون (يُفنِكُم) أو (يَستأصِلْكُمْ) لما يؤذنُ به لفظ ﴿يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ من معنى الإبعاد والاستبدال؛ للإشعار بأنَّه إنّما يذهبكم بسبب كفركم باللّه ورسله، ولهذا عطف عليه ما يدلُّ على الاستبدال في قوله: ﴿وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ﴾.

دلالة الفعل (يُذْهِبْكُمْ) على معنى الإبعاد والاستبدال

سِرُّ الاعتراض بالنِّداء في قوله: ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾:

لمّا جاء الاعتراض بقوله تعالى: ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ بين متعاطفين متلازمين دلَّ على العنايةِ به وبالخبرِ، ولأنَّ النّداء بصيغة (النّاس) دلَّ على تعميم الكلام الذي جاء على سبيل الخطاب، ولتنبيه المخاطبين وتوقيفهم لتحضر أذهانهم، ولتخويفهم بأنَّ اللّه تعالى قادر على إفنائهم وإيجاد ناس آخرين يكونون خيرًا منهم في تلقي الدِّين[2].

تخويف وتنبيه لجميع النَّاس على خطر مُخالفة أمر الخالق ﷻ

نكتة العطف في جواب الشّرط في قوله: ﴿يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ﴾:

عطف ﴿وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ﴾ على ﴿يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ على معنى أنَّ الإتيان

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 163 - 164، وأبو السعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/241.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/122، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/221.

بآخرين لا يكون حتّى يكونَ إذهابُكم؛ ليكون الشّرط في قوله: ﴿إِن يَشَأۡ﴾ سببًا للإتيان بآخرين بوساطةِ كونه سببًا لإذهابِكم، بمعنى جَعْلِ جزاءِ الشّرط المعطوف عليه سببًا في المعطوف، فلا يكون إتيانٌ بآخرين قبل إذهابِكم، ففيه تخويفٌ وتهويلٌ للمُخالفين لأوامر الله[1].

لا يكون إتيانٌ بآخرين قبل إذهابِكم

بديع المقابلة بين قوله تعالى: ﴿يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ و﴿وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ﴾:

لمّا كان الإذهاب سببًا في الإتيان بآخرين جاء الفعلان على طريق المقابلة لتنبيه السامعين على عظم الخيرِ الذي هم فيه، بالمقارنة بين ما هم فيه وما سيحرمونه لو أذهبهم الله وأبعدهم، وأنَّهم إنْ لم يشكروا هذه النّعم أبدلهم الله بآخرين، ويكون المعنى إن استمررتم على الشِّرك أو كان منكم الكفر بعد الإيمان، فإنَّ الله تعالى بمقتضى سننه في الفطرة الإنسانيَّة يفنيكم بإذهاب قوتكم وسيطرة الفساد عليكم، ويجيء من بعدكم من ينصر الحق، ويكون النَّص كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾، وكقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[2].

توبيخ المشركين وتهديد المرتدين عن الدِّين

نكتة التّعبير بقوله: ﴿بِـَٔاخَرِينَۚ﴾:

لمّا كان مدلولُ (آخر) هو من مدلولِ جنس ما تقدّمه، فَلَوْ قُلْتَ: جَاءَ زَيْدٌ وَآخَرُ مَعَهُ، أَوْ مَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ وَأُخْرَى مَعَهَا، أَوِ اشْتَرَيْتُ فَرَسًا وَآخَرَ لم يكن (آخر) إلَّا بعضًا من جنسِ ما عطفَ عليه، فلا يجوز أن يُوصَف بكلمة آخر موصوفٌ لم يتقدمه ذكر مقابل له أَصْلًا، فلا تقول: جاءني آخر، من غير أن تتكلَّم بشيءٍ قبل؛ لأنَّ معنى آخر

مناسبة اللَّفظ لسياق الكلام

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 234.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 4/1892.

معنى مُغاير في الذَّات مجانس في الوصف لمّا كان ما قابله الضمير في ﴿يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ وصرّح بالمرادِ في قوله: ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ دلَّ على أنَّ المقصود من ﴿بِـَٔاخَرِينَۚ﴾ هو ناس آخرون. ولو قال: (ويأتِ بغيركم) لاحتمل أن يكون بناسٍ غيركم أو بخلقٍ غير خلقِ بني آدم غيركم، لأنَّ (غَيْرًا) تَقَعُ عَلَى الْمُغَايِرِ فِي جِنْسٍ أَوْ فِي صِفَةٍ، فَتَقُولُ: اشْتَرَيْتُ ثَوْبًا وَغَيْرَهُ، فَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ ثَوْبًا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ ثَوْبٍ[1].

سِرُّ تقديم الجارِّ والمجرور في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾:

الاهتمام بمَوْضِعِ الحكم وتمكينه في النَّفس

قُدِّم الجارَّ والمجرور في قوله (عَلَى ذَلِكَ)؛ لمَوْضِعِ الاهتمام وهو التَّغييرُ والتَّبديل، الذي يستبعدونه لفرط إحساس المشركين بقوَّتهم، وغرورهم بدولتهم، واستضعافهم لشأن المؤمنين الصَّادقين[2].

دلالة التَّذييل بوصف القُدْرة مع المُبالغة:

بيان اقتدار الله تعالى على التَّغيير والتَّبديل تخويفًا للمخالفين

قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾، قديرًا على إذهابكم والإتيان بآخرين، وأتى بصيغة المُبالغة في القُدرة؛ لأنَّه تعالى لا يمتنع عليه شيء أراده، وهذا وعيدٌ لهم وتخويفٌ[3]، فالتَّعبير بصيغة (فعيل)؛ للمبالغةِ وتبيينِ بليغِ القدرةِ، وأنَّه سبحانه لا يُعجِزُه مُرادٌ[4].

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/93، والتحرير والتنوير: 5/222.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/1892.
(3) البحر المحيط في التفسير: 4/93.
(4) الزمخشري: الكشاف: 1/574، والبيضاوي: أنوار التنزيل: 2/102، وأبو حيان: البحر المحيط: 4/93.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»